113836 ـ غير مسلم ينكر على طالب مسلم عدم استمتاعه معهم بالنوادي الليلية!

السؤال

في فصلي طالب مسلم في الجامعة ، ولا يأتي أبداً ويجلس معنا ، ولا يخرج إلى النادي الليلي ، أو للمتعة معنا ، سؤالي هو : لماذا الإسلام يعلِّم الناس أن لا يمتعوا أنفسهم ، وأن يكونوا تعيسين طول الوقت . لنبتهج !

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

إن فكرة مراسلتك لموقع إسلامي هي فكرة جيدة بحد ذاتها ، وهي تدل أنك على الطريق الصحيح للاستفسار عما تريد ، وقد أحسنتَ صنعاً بذلك ، ونحن أُمرنا أن نقول للمحسن أحسنتَ ، وأن نثني على تصرفه إن كان صحيحاً .
ونحن بدورنا يسعدنا أن نرد على تساؤلاتك واستفساراتك ليس في هذا الموضوع فحسب ، بل بكل ما ترغب أن تعرفه عن هذا الدين ، أو كل ما تراه مناسباً أن يكون عندك به علم ومعرفة .
ونطلب منك أن تُعيرنا انتباهك ، فمؤكد أنك لم تسأل لأجل التسلية ، ولا لأجل النيل من أحكام الدين الإسلامي ، وظننا بك أنك لم تسأل إلا من أجل زيادة المعرفة .
ويسرنا أن يكون جوابنا في نقاط محددة مركَّزة ، ونظن أنك أهلٌ لأن تفهم عنَّا ما نقوله .
1. ما رأيك لو جاءت امرأة لتعزيتك في وفاة قريب لك وهي تلبس " ملابس السباحة " ؟! هل كنتَ تقبل منها هذا ؟ نظن أن الجواب : لا ، غير مقبول ؛ لأن المناسبة تقتضي من المعزي لباساً يليق بالمناسبة ، أليس كذلك ؟ والسؤال : ما الذي قيَّد حرية هذا المعزِّي بلباسه ففرض عليه لباساً ومنعه من آخر ؟ إنه العادة ، أليس كذلك ؟ فالمرء إذاً ليس حرّاً في تصرفاته في كل حال ، بل العادة تمنعه أحياناً من أشياء وتحد حريته .
وما رأيك لو أن شخصاً كان يأكل معك على طاولة واحدة ، وفي أثناء تناولكما للطعام " تجشأ " ؟! هل كنتَ تقبل منه ذلك ؟! نظن أن الجواب : لا ، غير مقبول منه هذا التصرف ؛ لأن هذا الفعل منافٍ لآداب الطعام ، أليس كذلك ؟ والسؤال : ما الذي قيَّد حرية ذلك الشخص ومنعه من هذا الفعل أثناء الطعام ؟ إنه الذوق والأدب ، أليس كذلك ؟ فالمرء إذاً ليس حرّاً في أن يفعل ما يشاء أثناء تناول الطعام مع الآخرين ، كالجشاء ، ووضع الإصبع في الأنف ، وما يشبه ذلك ؛ لأن الذوق السليم يفرض عليه أشياء ، ويمنعه من أخرى .
وما رأيك لو أن سائقاً يقود سيارته عكس اتجاه السير ، أو يقف في مكان يُمنع الوقوف فيه ؟ هل كنتَ تقبل منه ذلك ؟ نظن أن الجواب : لا ، غير مقبول منه هذه التصرفات ؛ لأن فعله هذا مرفوض ومستنكر ؛ لأن حق السير في الطريق ليس على هواه ، وليست الأماكن كلها تصلح لأن يوقف سيارته فيها ، أليس كذلك ؟ والسؤال : ما الذي قيَّد حريَّة ذلك السائق فمنعه من السير

عكس اتجاه السير ، ومنعه من الوقوف في هذا المكان ؟ إنه القانون ، أليس كذلك ؟ فالمرء إذاً ليس حرّاً في تصرفاته حتى يقود سيارته على هواه ، أو يوقفها حيث شاء ؛ لأن القانون يفرض عليه السير باتجاه معيَّن ، ويمنعه من الوقوف في أماكن مخصوصة .

إذاً أيها السائل أنت ترى أن " العادة " و " الذوق " و " القانون " لهم من السلطة على الناس بحيث امتنعوا عن فعل أشياء ، وأُلزموا بأخرى من أجلها ، فلم الاستغراب من أن يكون " الله تعالى " أو " الدين " له السلطة على الناس ، فنرى ما يمنعنا منه ربنا تعالى ويحرمه عليه ديننا فنمتنع عنه ونحرمه على أنفسنا ؟ هذا هو الواقع باختصار ، والظن بك أنك ستقدِّر أن منع الرب تعالى وتحريم الدين أولى من كل ما ذكرناه بالاستجابة له ، والكف عنه ؛ لأنه الخالق تعالى الذي رضينا لأنفسنا أن نكون عبيداً له ، ورضينا به ربّاً مشرعاً وحاكماً .

وما فعله الطالب المسلم من عدم ذهابه للنادي الليلي ، وعدم شربه للمسكر : إنما فعل ذلك من أجل أن الله تعالى حرَّم عليه ذلك .

2. ثم إنك تنكر على ذلك الطالب المسلم عدم ذهابه للنادي الليلي ، وعدم استمتاعه معكم ، ونحن نسألك : هل لهذه المتعة حدود أم هي مطلقة لا حدَّ لها ؟ ولنكن صرحاء معك أكثر ، هل ترضى أن تكون عشيقتك من الطالبات هي عشيقة لغيرك من الطلاب أو المدرسين ؟! وهل ترضى أن يستمتع بها غيرك كما تستمتع بها أنت ؟ إننا على علم بكثرة جرائم القتل التي تحصل في الثانويات والمعاهد جراء مثل هذه الأفعال ، ولست بحاجة لأن تجيبنا ؛ لأننا رأينا وسمعنا وقرأنا عن حوادث شجار وصل كثير منها إلى القتل ، وكل ذلك بسبب التنافس على قلب طالبة ، أليس كذلك ؟ فأين المتعة الذي تنادي بها إذاً ؟ ولم تحرمونها على الطلاب أو المدرسين الذين يرغبون بالاستمتاع بالطالبة نفسها ، وقد تكون هذه هي رغبتها أصلاً ؟ .

وإذا خالفتَ الفطرة ، والواقع الذي تعيشه ، ورضيتَ بأن يستمتع معك طلاب آخرون بطالبة واحدة تعشقها وتعلق قلبك بها : فهل ترضى الأمر نفسه أن يحصل مع زوجتك ؟! ونأمل أن لا تغضب لهذا السؤال ، فإنما أردنا أن نبين لك أن هناك تناقضاً في واقع مجتمعاتكم حيث تدعون للمتعة ، ثم تقيدونها بأشياء تتعلق بنفوسكم وأهوائكم ، وإذا امتنع عنها المسلم بسبب دينه كان محط سخرية وانتقاد ، ثم إن هذا السؤال له أصل في ديننا ! أتعرف كيف ذاك ؟ جاء شاب عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يستأذنه في " الزنى " ! نعم ، يستأذنه في أن يزني ببنات الناس ونسائهم ، أتدري ماذا قال له نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ قال له : أترضاه لأمك ؟ أترضاه لأختك ؟ أترضاه لابنتك ؟ وفي كل مرة كان الشاب جيب بالنفي ، وأنه لا يرضى أن يزني أحد بأمه ، أو بأخته ، أو بابنته ، وفي كل مرَّة كان يقول له النبي صلى الله عليه وسلم : وكذلك الناس لا يرضون لأمهاتهم وأخواتهم وبناتهم ، فدعا له النبي صلى الله وسلم ، وخرج من عنده والزنى أبغض الأفعال إلى قلبه .

وأنت تدعو هذا المسلم ليستمتع ، ونحن سألنا سؤالا منطقيا أترضى أن يستمتع بعشيقتك التي تحبها ؟ أترضى أن يستمتع بزوجتك ؟ أترضى أن يستمتع بابنتك ؟ نحن نعتقد جازمين أن ما يحصل من حوادث قتل لزوجات خائنات إنما هو بسبب الفطرة التي خلق الله الناس عليها ، والتي يأبى أصحابها ذلك وينكرونه أشد الإنكار ، ولو أدى به الأمر لقتلها ، أو لقتلها وعشيقها ، حتى لو كان نهاية الأمر سجن مؤبد ، أو إعدام ، والعشيقة الخائنة ليست كالزوجة الخائنة قطعاً ، ولكن حتى العشاق لا يرضون أن تكون عشيقاتهم مشاعاً للناس جميعاً .

3. ثم إن الإسلام جاء بأحكام غاية في الإحكام والإتقان ، وهي تصب في مصلحة الفرد ، والمجتمع ، والدولة ، وعندما حرَّم الإسلام العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج إنما أراد أن تكون المجتمعات نظيفة في قلوبها ، وأبدانها ، ويكفي أن تعلم النسبة المهولة للأمراض الجنسية التي سببتها العلاقات الآثمة ، والشاذة ، والتي ينبغي أن لا يُختلف في تحريمها بين الأديان ، فكم هم ضحايا " الإيدز " ؟ وكم عدد الإصابات ؟ وكيف يعيش من لم يمت منهم ؟ إنها حياة مأساوية ، وميتة بشعة شنيعة يرضاها لنفسه من يدفع حياته من أجل متعة دقائق ! والإسلام جاء بما يحفظ على المسلم دينه ، وقلبه ، وبدنه ، فامتنع المسلم عن فعل الحرام ، ورضي بما حكم الله تعالى له به ، وهو الخبير سبحانه بما يصلح الناس .

4. واعلم أيها السائل أن الدنيا ليس فيها ما يُتحسر على فواته ، وأن هذه الدنيا بالنسبة للمسلم سجنٌ ! وجنته ومتعته الحقيقية إنما هي في الآخرة ، وأما الكافر فجنته في الدنيا فقط ، يلتذ ويستمتع ثم يصير مآله إلى هوان وخسارة .

وقد قال لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ) رواه مسلم (2956) .

وقد فسَّرها علماؤنا بقولهم :

معناه : أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة ، والمكروهة ، مكلَّف بفعل الطاعات الشاقة ، فإذا مات : استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعدَّ الله تعالى له من النعيم الدائم ، والراحة الخالصة من النقصان .

وأما الكافر : فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا ، مع قلته ، وتكديره بالمنغصات ، فإذا مات : صار إلى العذاب الدائم ، وشقاء الأبد .

" شرح النووي " (18 / 93) .

فنرجو منك التأمل في هذه المسألة حق التأمل ، ونرجو أن تكون مفتاحاً لقلبك لتصل إلى الحق .

5. ومن قال لك إن الإسلام ليس فيه متعة ؟! إننا نستمتع ، لكن بما أباح الله تعالى لنا ، بل إننا نستمتع أضعاف ما تستمتعون – وتظنون أنها متعة – ؛ لأن الشيء المحرَّم ليس فيه متعة ، وإنما المتعة الحقيقية هي المباحات ، والمعصية تعقبها حسرة ، ولن يكون صاحبها في سعادة وهناء ، وانظر حولك لترى صدق هذا القول .

وإذا كنتم تستمتعون بزوجة واحدة : فنحن أبيح لنا الاستمتاع بأربع زوجات ! فما بال قومك ينكرون علينا الليل والنهار ويسيئون لديننا لأنه حكم لنا بهذا الاستمتاع ؟

وإننا نستمتع بالحياة مع أبنائنا وبناتنا ، ولذلك ترى الأسرة المسلمة تنجب أعداداً وفيرة من الأولاد ، فما هو حال استمتاعكم في هذا الجانب ؟

وإننا نستمتع بحب أمهاتنا وآبائنا ، فهل تعلم حقيقة العلاقة بين الواحد منكم وبين أمه وأبيه ؟

ونحن نستمتع بالطعام اللذيذ المباح ، ونستمتع بالشراب المباح اللذيذ ، وهكذا في أبواب كثيرة ، والمهم في ذلك أن يكون الله تعالى أباحها لنا وأذن لنا في الاستمتاع بها .

ويكفينا أن نكون سعداء ، ومستمتعين بما هدانا الله تعالى له ، وهو أننا نسير على الطريق الصحيح الذي يرضى الله تعالى عنّا به ، والذي سار عليه الأنبياء الكرام من قبلُ ، وهذه السعادة حرمها الملايين من الناس ، والذين رضوا لأنفسهم أن يعبدوا حجراً ، أو صنماً ، أو بشراً مثلهم ، وقد أخبرنا الله تعالى أن هؤلاء لن تكون حياتهم هنيئة ، ولن تكون صدورهم منشرحة ؛

لأنهم تركوا توحيد الرب الذي خلقهم ، وأشركوا معه آلهة أخرى ، فعاقبهم الله في الدنيا بضيق الصدر ، ثم سيعاقبهم بضيق القبر ، ثم بضيق الحشر ، ثم يكون مصيرهم جهنم خالدين فيها أبداً .

وإذا أردت أن تعرف صدق هذا القول فاقرأ قصص من دخل في الإسلام من بني قومك ، أو من غيرهم ، وانظر إلى التحول العظيم في حياتهم ، وانظر إلى السعادة البالغة التي هم عليها الآن ، هذا هو الاستمتاع الذي ينبغي أن تحرص عليه ، وكما دعوتنا لنبتهج ونستمتع فإننا ندعوك بصدق إلى أن تستمتع أنت معنا ، وتسلك طريق السعداء ، وتتذوق السعادة الحقيقية التي تنام معك ، وتستيقظ معك ، لا تفارقك ، حتى لو دخلت قبرك ، إلى أن يدخلك ربك دار السعداء ، وهي جنته التي عرضها السموات والأرض .

سائلين الله تعالى ربنا أن يهديك لمعرفة الحق ، وأن لا يميتك إلا على الدين الذي ختم به الرسالات .

والله الموفق